



+ آباؤنا القديسون

القديس سيرافيم ساروفسكي

تعيّد الكنيسة الأرثوذكسية في الثاني من كانون الثاني لتذكار القديس البار سيرافيم ساروفسكي الحامل الإله ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. وُلد بروخوروس، وهو إسم سيرافيم في الدنيا قبل ان يصبح راهباً، عام ١٧٥٩ في بلدة كورسك في روسيا الوسطى في عائلة متواضعة. توفي أبوه ايزيدوروس وكان بروخوروس ما زال طفلاً فاهتمت أمه بتربيته وطبعت في نفسه حبّ المرضى والأيتام والأرامل والعناية بهم فتفانى في خدمتهم لاحقاً. في العاشرة من عمره مرض مرضاً خطيراً وشارف على الموت، إلا أنه شُفي بشفاة العذراء والدة الإله التي ظهرت له ووعدته بالشفاء. منذ ذلك الحين نمت بينه وبينها علاقة مميزة. عمل في التجارة مع أخيه فلم تستهوه لأنه كان منجذباً الى الإلهيات ونفسه متجهة نحو الحياة الرهبانية، فاستشار أحد الشيوخ (الآباء الروحيين) في كييف، فنصحته بالذهاب الى دير ساروف الذي يبعد ثلاثماية كيلومتر عن كورسك.

قصد ابن التاسعة عشرة الدير بروح فرحة وكان ذكياً وقوي البنية. أختبر الطاعة والتواضع والصلاة وخاصة صلاة يسوع " أيها الرب يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطيء." كان مواظباً على قراءة الكتاب المقدس واقفاً أمام الأيقونات، والكتب الليتورجية وكتب الآباء القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا السلمّي وغيرهما، فعُين قارئاً في الدير. كان يمارس الأصوام والأسهار بقساوة وحتى المرض. وبقدر ما كان قاسياً على نفسه كان رؤوفاً على المبتدئين من الرهبان، إذ كان ينصحهم بعدم القساوة على أنفسهم بالنسك وأخذ قسط وافر من الراحة، " فالجسد يجب أن يكون عشيير النفس ومساعدتها في عمل الكمال، وإلا فإن الجسد المضني يضعف النفس. مرض مدة ثلاث سنوات ولم يشفَ إلا بعدما ظهرت له والدة الإله برفقة الرسولين بطرس ويوحنا وقالت لهما : " هذا واحدٌ معنا".

لبس الإسكيم الرهباني في سن السابعة والعشرين وصار اسمه سيرافيم. وكان قد سيم شماساً قبل أربع سنوات. أعطيت له نعمة معاينة الملائكة يخدمون معه في الهيكل وسمّهم يرتّمون. وقد عاين مرة الرب يسوع فيما كان يخدم فتسرّ في موضعه الى أن حمّله شماسان الى داخل الهيكل.

سيم كاهناً وهو في الثلاثين وكان يقيم الذبيحة الإلهية كل يوم. وقد أعطاه الرب نعمة الأشفية وطرد الأرواح الشريرة وموهبة البشارة بالكلمة، وكان من الداعين الى المناولة المتواترة.

بعد سنة من سيامته، وبعد أن عاين رؤساءه فضيلته ونسكه سمحوا له بالعيش ناسكاً في غابة تبعد ستة كيلومترات عن الدير. أطلق اسم الناصرة وبيت لحم والجسمانية وثابور وغيرها على الأماكن المحيطة به وكأنه يُجسد أحداث الكتاب المقدس. كان يأتي مرة في آخر الأسبوع الى الدير للإشتراك في القدسات وحمل قليل من



+ آباؤنا القديسون

الخيز يتشاركه مع الحيوانات البرية التي تعيش في الغابة والتي صارت أليفة معه. فالدبّ كان يأتي كالحملان ليأكل من يده، والعصافير والزحافات تجتمع أمام بابه تنتظر طعامها، مع أنه لم يكن يملك شيئاً إلا أن الله كان يعطيه ليطعمها. وكان ينام على الحجارة الملساء في منسكه.

بعدما تكاثر عدد زائريه في المنسك تضرّع الى الله ليعطيه حلاً، فنمت الأغصان مثل الشبكة حول منسكه مانعة وصول الزوار. دخل في حرب شرسة مع إبليس إذ سلّط عليه الشرير الحيوانات الضارية فكانت تضرب حيطان منسكه المتزعزعة وتزأر بصوتها المخيف. وإذا لم تنفع معه هذه المهجمات جرّبه إبليس بروح الكآبة، فرأى نفسه مدانة وقد تخلّى الله عنه،

لكنه قهر الشيطان بالصلاة. ويحكى أنه بقي ألف يوم راکعاً أو منتصباً على الصخر يصلي.

اعترضه اللصوص في الغابة وهو يقطع الحطب ولم يكن يملك مالا، فضربوه وكسروا جمجمته وأضلّعه. جرّ نفسه الى الدير ولم يتعاف إلا بعد أشهر طويلة وقد شاب شعره واحدودب ظهره فاستعان بالعصا ليمشي. عاد الى منسكه ودخل فترة صمت مقدس ولم يعد يذهب الى الدير. أمره مجلس الشركة في الدير بالعودة، فعاد طائعاً وكان قد مضى على نسكه في الغابة خمس عشرة سنة. في الدير أقبل على نفسه مدة خمس سنوات صامتاً وكانوا يأتونه بالقدسات الى قلايته. ولما بدأ باقتبال طالبي النصح كان يحثهم على اللطف ومحبة الإخوة وأن يكونوا في سلام مع الجميع ليجدوا الخلاص.

صار شيخاً وأباً روحياً كبيراً، حتى أن القصير ألكسندروس الأول اعتاد المجيء اليه.

ولما أصبح عدد الزائرين يفوق طاقته كان يضيء شمعة لكل واحد. كما أن الله أنعم عليه بموهبة معرفة مكنونات القلوب ورؤية الأمور عن بعد في المكان والزمان.

أسس ديراً للفتيات قرب دير نسائي آخر على مقربة من ساروف وكان يهتم روحياً بالديرين. كثيراً ما كانت تظهر له والدة الإله بصحبة القديسين وتتكلّم معه، حتى أنها أعلمته بقرب وفاته في آخر أيامه. تناول القدسات الإلهية صباح الأول من كانون الثاني ١٨٣٣ وقبّل كل الأيقونات وأضاء الشموع وبارك الإخوة. وفي الليل أسلم روحه للرب وهو في السبعين من عمره، بينما هو على ركبتيه ينشد ترانيم الفصح.

أعلنت الكنيسة الروسية قداسته في ١٩ تموز ١٩٠٣، وما زال يفيض البركات لمكرميه.